

تفسير ابن كثير

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ^ج كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

ثم قال : (وترى كل أمة جاثية) أي : على ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال : إن هذا [

يكون] إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ، حتى إبراهيم الخليل

، ويقول : نفسي ، نفسي ، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي ، وحتى أن عيسى ليقول : لا

أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك [اليوم] مريم التي ولدتي . قال مجاهد ، وكعب

الأخبار ، والحسن البصري : (كل أمة جاثية) أي : على الركب . وقال عكرمة : (

جاثية) متميزة على ناحيتها ، وليس على الركب . والأول أولى . قال ابن أبي حاتم :

حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن

عبد الله بن باباه ، أن رسول الله [- صلى الله عليه وسلم -] قال : " كأني أراكم

جاثين بالكوم دون جهنم " . وقال إسماعيل بن رافع المدني ، عن محمد بن كعب ، عن

أبي هريرة ، رضي الله عنه ، مرفوعا في حديث الصورة : فيتميز الناس وتجثو الأمم ، وهي

التي يقول الله : (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) . وهذا فيه جمع بين

القولين : ولا منافاة ، والله أعلم .وقوله : (كل أمة تدعى إلى كتابها) يعني : كتاب

أعمالها ، كقوله : (ووضع الكتاب وحيء بالنبیین والشهداء) [الزمر : 69] ؛ ولهذا قال :

(اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي : تجازون بأعمالكم خيرها وشرها ، كقوله تعالى : (

ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) [القيامة

. [13 - 15] :